مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية و الاجتماعية

المجلد (09) العدد (03) السنة (2022)

الصفحة 158-171

ترجمة المادة السمعية البصرية: حفاظ على الهوية الثقافية أم تّفتح على العالم

The translation of the Audiovisual content: preserving cultural identity or opening up to the world

ط.د/ رندة سعدي[1*]، ياسين بن غبريد[2]

[1] جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، randa.saadi@univ-alger2.dz

[2] جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، interlate@gmail.com

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2022/02/17
تاريخ القبول: 2022/06/18

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

فالملخص:

تسعى دراستنا إلى توضيح العلاقة بين الترجمة في المجال السمعي البصري وبين الهوية الثقافية.وذلك لإبراز عمق التغيير الذي تحدثه المواد المترجمة متنكرة بلغة الضاد.فاعتناق استراتيجيات معينة في الترجمة والتعرض الطويل للمواد هي أهم الأسباب. أمّا الانفتاح على العالم فهو الذي يساعد على تجاوز تشتت الهوية نظراً لازدواج ميولات الشخصية العربية..

الكلمات المفتاحية: ترجمة، هوية، ثقافة، مادة سمعية بصرية

ABSTRACT

Our study seeks to clarify the relationship between translation in the audiovisual field and cultural identity. In order to clarify the depth of change caused by the translated material disguised in the language of the Dhad. Embracing certain strategies in translation and long exposure to the material are the most important reasons. As for openness to the world, it is that which helps to overcome the dispersal of identity due to the dual tendencies of the Arab personality.

Keywords: translation, identity, culture, audiovisual material.

* المؤلف المرسل رندة سعدي

1. مقدمة:

تولى الترجمة السمعية البصرية اهتماماً بالغاً نظراً لارتباطها الوثيق بإنتاج المادة السمعية البصرية الترفيهية أو التعليمية أو الثقافية أو السينمائية خاصة إن أريد بها النجاح والوصول إلى أكبر عدد ممكن من الشريحة المستهدفة والى العالمية ولعولمة المضامين ولعولمة الثقافة في معظم الأحيان، فلم تكن الترجمة السمعية البصرية مجالاً مستّقلاً بذاته إلاّ في العقد الأخير نظراً لصعوبتها وتشعّب الثقافة واللغة التي يجب على المترجم أن يكون ملّماً بها حتى لا يقع في عثرات تقنية وإيديولوجية ولغوية بادية للعيان ونظراً أيضاً لتذرع الدارسين والمنظرين بوجود ثغرات قد يتعرضون إليها باعتبار الفجوة المتعارف عليها بين المترجمين والمنظرين في مجال الترجمة.

وبالجانب الآخر من الكفة فعملية التّلقي هي الأخرى باتت عملية جدّ معقدة من نواحي نفسية واجتماعية وثقافية ودينية وسياسية وغيرها ذلك أنّ التّعرض للمادة السمعية البصرية أصبح أطول زمنياً وأكثف من حيث الخدع البصرية والتّنمق وأخطر من حيث المعاني والأفكار والترجمة التي قد تضفي تغييرات ولربما لن يكتشف المرء مغزاها إلاّ بعد حين، فصحيح أنّ لكلّ شعب وعرق خصوصيته ومميزاته لكن الآن بات من الصعب التّمييز بين الأشخاص نظراً للتطابق أو لنقل التشابه الفكري والصور الذهنية بين الأشخاص والناتج هو الآخر من التّعرض للمواد الإعلامية خاصّة المترجم منها.

فالتكنولوجيات الحديثة: من سرعة تدّفق الانترنت والأجهزة الذكية، جعلت من الممكن على الشخص أن يتلقى المادة أينما كان وكيفما كان وبأيّ وقت، خاصّة إن أساء الاستخدام أو حتى الاستخدام السليم على المدى البعيد ناهيك عن مواقع التواصل الاجتماعي الكثيرة التي يستطيع أيّ شخص أن ينشر مادة تحتوي على فكرة ما في جزء من الثانية .

لكن كيف للمرء أن يحافظ على هويته الثقافية في ظل كل هذا الإغراء المزوق وهل التّفتح على العالم تنميق للعولمة الإعلامية والثقافية المترجمة؟

2.الترجمة السمعية البصرية:

1.2.تعريف الترجمة السمعية البصرية:

استعملت عدّة مصطلحات لتعبر عن الترجمة السمعية البصرية منها مصطلح "ترجمة الفلم" لـ سنيل هورنبي Snell-Hornby و"ترجمة الشاشة" لـــ مايسن وأوكونيل Masson and O'Connell و أوريرو Orero ومصطلح "ترجمة الوسائط المتعددة " لـــ غامبيي وغوتليب Gambier and Gottlieb ومصطلح "الفلم وترجمة التلفزيون لـ "ديلابيستيتا" Della Besteta، ويخص ترجمة كل من الجرائد والمجلات والأخبار والوسائط

المتعددة، وكل البرامج السمعية البصرية من لقاءات وبرامج إذاعية وتلفزيونية ومسلسلات وأفلام وثائقية وأفلام سينمائية ورسوم متحركة وعروض مسرحية.

يصفها "غامبييGambier" على أنّها "تندرج ضمن ترجمة وسائل الإعلام التي تحوي المنشورات الخاصة بالجرائد والمجلات، وبرقيات وكالات الأنباء...وغيرها، ويمكن أن نجدها كذلك في ترجمة الوسائط المتعدّدة التي تمس المنتوجات والخدمات عبر الانترنت على شكل أقراص مضغوطة وترتبط هذه الأخيرة بترجمة القصص المصورة، والمسرح والأوبيرا، والكتب المشخصة بالصور، وكل الوثائق الأخرى التي تجمع بين بمختلف الأنظمة السيميائية". (Gambier, 2004, p. 02)

ويرى "دياز سينتاز" Diaz Cintaz" أنّه كلّما ازدهر الإعلام السمعي البصري كلّما زادت المنتجات والبرامج التي تسافر من بلد إلى بلد وتحتاج ترجمة، وفسّر أنّ الترجمة السمعية البصرية عموماً والسترجة خصوصاً تمتلك هوية محدّدة مُتّكلة على قيود معينة يفرضها الوسيط السمعي البصري الشيء الذي جعل الترجمة السمعية البصرية والتكنولوجيا متلازمتين. (Diaz-Cintaz, p. 17)

2.2. نبذة تاريخية عن الترجمة السمعية البصرية:

إن نفضنا الغبار عن تاريخ الترجمة السمعية البصرية لوجدنا أنّها كانت نتاج ظهور السينما، استدعتها الحاجة إلى البروز فقط لتلبية رغبة جمهورها الذي لم يعد يطيق انتظار تلقي المادة السمعية البصرية خصوصاً السينمائية منها، صحيح أنّ المنتجات الأولى في عالم السينما كانت جدّ قصيرة وصورة دون صوت كالأفلام الأولى التي أبدع في تمثيلها "شارلي شابلن"، لكن الصوت بات ضرورة بعد أن أصبح للفيديوهات طابع إخباري أو وثائقي ينقل معلومات ضرورية، وبعد أن طورت لتشغل حيّزاً زمنياً أكبر تماشياً واحتياجات السوق باعتبارها نقطة البداية لتكنولوجيا المعلومات، أمّا اللغة فكانت ثالث تلك التطورات.

اضطر صانعو السينما إلى إدراج بعض الشرح أو الكتابات أو المحادثات المصاحبة للصورة على لوحات جانب الصورة أو عناوين بينية تفصل مقاطع الفلم أو شخص يوقف المشهد ويشرحه، إلاّ أنّ هذا لم يدم طويلاً بعد إضافة الصوت حوالي سنة (1927)، وجاءت الترجمة لتأخذ مكان العناوين البينية ثمّ لتضاف بعد حين على الشاشة لتتطور على شكل دبلجة ولتكتسح الأفلام خاصة الأمريكية منها العالم برمّته، ليشغل بال الرأي العام بعد أن كان لا يطبق فمه عن الحديث عن الحرب العالمية الأولى، فهناك دول آثرت الدبلجة لأنّها سهلت عليهم عملية القراءة والتّلقي ودول أخرى فضلت السترجة إمّا هروباً من التّكلفة الباهضة للدبلجة التي لا تستطيع معظم الدول تحمّلها خاصة بعد الحرب أو التزمت الدولة لموضوع تغيير اللغة خاصة أنّ معظم هذه الدول كانت دولاً مستعمرة تهوى تلقين ونشر لغتها وثقافتها وباتت الآن تواجه خطر اكتساح الثقافة واللغة الأمريكية للكون.

ونظراً لصعوبة موضوع الموازنة سواء في عملية سترجة أو دبلجة المادة السمعية البصرية باعتبارهما أهم نوعين، فالسترجة، مثلاً تكون مختصرة لا تشغل حيّزاً كبيراً من الشاشة وتتبع الخطاب الكلامي الأصلي، أمّا الدبلجة فهي

عملية اعقد من ذلك بحيث يُعمل على الأصـــوات الخارجية لوحدها وعن المحادثات التي تتوائم خطاباتها مع حركات الشـــفاه، كما أنّها مكلفة وتحتاج إلى أجهزة وتكنولوجيات متطورة ظهرت تدريجياً أنواع أخرى إلاّ أنّ هذه الأنواع لم تستطع أن تنتزع مكانة الدبلجة والسترجة.

3.2. أنواع الترجمة السمعية البصرية:

صنّف "إييف غامبيي" Yves Gambier" الترجمة السمعية البصرية إلى إثنتا عشر نوعاً وهي من أهم التصنيفات النظرية (gambier, 2010, p. 12)

- **ترجمة السيناريوهات:** ويعني ترجمة لسيناريو فني ترجمة تحريرية، للحصول على إعانات في حالة الإنتاج المشترك لأنّ الترجمة لا تنشر مباشرة.
- **في اللغة الواحدة:** وتسمى أيضاً العنونة المغلقة مخصصة لفئة الصم وضعاف السمع من خلال عرض الحوار بواسطة خدمة التيليتكست(teletext)، أو نظام "أد هووك" (ad hoc) .
- **العنونة ثنائية اللغة** : وتســـمى العنونة مابين اللغات أو العنونة المفتوحة نجدها في بلدان مثل بلجيكا، فنلندا، سويسرا حيث يخصص سطر واحد لكلّ لغة.
- **العنونة المباشـرة** : نوع من أنواع الترجمة فورية تتم أثناء البّث المباشـر، مثل المقابلات الصـحفية، تحقيقات أو إدلاء بشهادة لشخصية مرموقة، مؤتمرات دولية .
- **الدوبلاج:** وتكون بالمزامنة الشـفوية أو المزامنة الزمنية، يكون للمزامنة الشـفوية نصـيب من التكيّيف الإبداعي، وبتطور التكنولوجيات التي سمحت بمعالجة الصـــور طرأت تطورت عملية الدبلجة لتظهر الدبلجة مابين اللغات بمستويات أخرى تعالج المستوى الصوتي والثقافي.
- **الترجمة الفورية:** بصفاتها الثلاث : ترجمة متتالية في لقاء صحفي مع سياسي مثلاً، ترجمة متزامنة على المباشر أو ترجمة **للقاء مسجل**، ويجب على المترجم أن يتوخى الأمانة الترجمية بالإضافة إلى سلاسة الكلام وتناغمه.
- **الصوت الأجهر أو الدبلجة الجزئية:** وهي إضافة صوت لغة الهدف على صوت لغة الأصل، أمّا عبارة الـــ voice off بالانجليزية المراد به نفس المصطلح فتعود على الصوت المخفي للمعلق الأصلي، وفي جميع الحالات فإنّ الترجمة تكون مُعدّة مسبقاً بالتزامن مع الصور وفي الغالب يتم استخدامها في الأفلام الوثائقية.
- **التعليق الحر:** وهو طريقة لتكييف برنامج (غالباً أفلام وثائقية) لصـــالح جمهور جديد (وهذا بشـــرح، إضـــافة معطيات وتفاصيل أكثر أو تعليق)، وفي هذا النوع من الترجمة تكون المزامنة مع الصور أكثر من التسجيل الصوتي.
- **العنونة الفوقية:** تعرض أعلى سارية المسرح أو على الجزء الخلفي للمقعد في المسارح أو دُور الأوبرا.
- **الترجمة المنظورة:** وهي أن تتم ترجمة عمل مترجم مسبقاً انطلاقاً من العنونة المسبقة (وتسمى هذه الأخيرة هنا باللغة الرابطة بين اللغة المصـــدر واللغة الهدف)، كأن يترجم فيلم إيراني إلى اللغة الفنلندية بالاعتماد على العنونة الفرنسية.

- **الوصف السماعي**: يعني وصف وشرح حركات الجسد، تعابير الوجه، الألوان...للمكفوفين وضعاف البصر(تقديم وتحويل الجانب السيميائي إلى معطيات مسموعة)، يمكن إدراج الوصف السماعي إمّا ما بين اللغات أو في اللغة الواحدة؛ إذ أنّ هذه الأخيرة بدأ العمل بها في ألمانيا على قناتي Arte وZDF منذ عام(1993) وفي التلفزيون البافاري منذ عام (1997) فقد كان هناك اهتمام بهذه الشريحة من المجتمع الأوروبي في أواخر القرن الماضي.
- **الإنتاج متعدّد اللغات**: فكما يدل المصطلح فإنّ العمل يتم إنتاجه بلغات مختلفة وعلى شكلين:

أ- النسخة المزدوجة: وهذا بدبلجة العمل إلى عدّة لغات بعد إنتاجه.

ب- إعادة إنتاج: نجد هذا النوع مطبق خاصة في الأفلام الأمريكية سنوات الثلاثينات إلى الخمسينات بهدف غزو السوق الأوروبية أي وضع الأفكار -وما إلى ذلك- في قالب حسب قيم وإيديولوجيات الثقافة في اللغة المستهدفة وهو غير رائج الآن.

4.2.الترجمة السمعية البصرية والتكنولوجيات الحديثة:

تحظى الترجمة السمعية البصرية بمكانة جد مهمة وسط الإنتاج السمعي البصري المتطور من أفلام وبرامج وفيديوهات وغيرها من الأشكال التي إستأصلت أو حورت من الأشكال الكلاسيكية المتعارف عليها، خاصة مع بزوغ الأشكال الجديدة من الاتصال الحديث من تطبيقات ومواقع التواصل الاجتماعي التي تعتمد على الترجمة كثيراً، فنجد الأشكال السالف ذكرها من الترجمة السمعية البصرية قد استعملت حسب الغرض منها، لكن نستطيع أن نستشف أنّ العنونة أو ما يتعارف عليها بالسترجة والدبلجة هي أهم تلك الأنواع وأكثرها تداولاً في العالم عامة وفي العالم العربي خاصة .

أدت التكنولوجيات الحديثة وسرعة تدفق المعلومات إلى سرعة الحصول على المعلومة وعلى المادة السمعية البصرية، لذا فالترجمة أضحت إحدى أهم تلك المتطلبات نظراً للسعي لمواكبة العصر وإلى التهافت إلى إبراز ردّات الفعل والآراء حول قضايا وأفكار معينة خاصة وأنّ العالم العربي اليوم قد نال نصيباً كبيراً من التطور والتطبع والاندماج في الأحداث العالمية مثل ما نراه في السعودية والخليج العربي مثلاً، والتي أصبحت تضاهي البلدان الأوروبية والأمريكية، ممّا حفزها على إجراء الترجمات بسرعة واحترافية إلّا أنّها لا تخلو من بعض الأفكار المحورة والغريبة التي أظهرت مفاهيم إمّا مغايرة أو محرفة عن النص الأصل أو أنّها تدس إيماءات لغوية وسيميولوجية معينة تدخل إلى العقول بفعل التكرار المستمر.

كما أنّ البرامج والتطبيقات المتاحة الآن على شبكة الانترنت لم تجعل من عملية الترجمة السمعية البصرية حكراً على القنوات المحترفة فقط، إنّما أصبحت متاحة للجميع فبات هذا الأمر سلاح ذو حدين، فالإثراء اللغوي الترجمي زاد جيد إلاّ أنّه قد يفلت من الرقابة والتوجيه.

ويمكننا أن نقسم البرامج المستخدمة إلى:

برامج مجانية: مثل subtitle workshop , virtual dub, station alpha, subrip, subtitle edit

برامج المدفوعة مثل Spot , Star Transit

ولكل منها ميزاته الخاصـــة إلّا أنّ برنامج Star Transit يعد من أهم البرامج وأشملها، وللبرامج الخاصـــة بالعنونة ملفات ذات امتدادات مختلفة مثل SSC(Subtitling and closed Captioning) التي تستخدم للبث التلفزيوني.

و SRTالتي تستخدم على فيديوهات اليوتيوب بكثرة، وملفات SSA(Sub Station Alpha)الذي يستخدم بكثرة في عنونة أفلام الإنمي .

تعتمد الترجمة على مقاييس عالمية تخضع لقنوات عالمية عريقة مثل قناة BBC أو لمؤسسات دولية مثل ISO وذلك حسب المنتج إن كان موجهاً للسينما أو للتلفزيون والإنترنت مثلاً.

يبقى تحدي المزامنة بين الترجمة والصورة وبين حركة الشفاه في الدبلجة من أهم التحديات التي أوجدت لها عدة تقنيات وتكنولوجيات لمساعدة التقنيين.

لم تأتي التسهيلات في هذا المجال من محض الصدفة ولا هبة من كبرى الشركات العالمية والأمريكية منها خاصة، وإنّما أتت لعدة أغراض نذكر منها:

- توجيه الرأي العام العالمي حسب الإستراتيجيات التي تحتضنها الدول الكبرى المهيمنة بسرعة وبفعالية.
- ترسيخ ونشر معالم العولمة الفكرية والتكنولوجية واللغوية.
- الاعتماد على المواد السمعية البصرية المترجمة نظراً لتميزها بسهولة التلقي وفعالية الإمداد بالأفكار المزمع نشرها.
- نشر الثقافة الغربية مما قد يطغى على الثقافات والهويات العالمية الأخرى.
- الاستعانة بالفرد لنقل الحضارة والمحتوى إلى لغته لتتحقق بذلك أهداف الدول الكبرى المتحكمة بأقل التكاليف.

وقد تتم عملية الترجمة موازية لعملية صنع المادة نفسها حتى تكون الترجمة موازية للنص الأصل وحتى نحصل على إنتاج فني وترجمي محترف ومطابق للخط الافتتاحي للقنوات أو الشركات المنتجة .

فتوخي الأمانة الترجمية عند المترجم العربي الذي يغار على موروثه الثقافي وهويته الثقافية لنقل الدلالات والأبعاد الثقافية والاجتماعية في عملية جد معقدة أمر مقدس له في أغلب الأحيان ، و يبقى على المتلقي هو الآخر الحفاظ على هويته الثقافية وسط الانفتاح العالمي .

3. الهوية الثقافية:

يعدّ مفهوم الهوية من أحد المفاهيم الضبابية غير المنحصرة لبعدها الفلسفي الفكري البعيد، لذا فنحاول إعطاء بعض القوالب التي صبّت في المفهوم، الهوية في الفرنسية Identité في الإنجليزية Identity في اللاتينية Identitas وما يجمع الهوية مقومات مشتركة أهمها : اللغة، الدّين والتاريخ المشترك .

وأدرك "الجرجاني أنّها "حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره من الأشياء""كما أنّها"الحقيقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق". (الجرجاني، 1990 ، صفحة 278) .

كما شُبّهت الهوية بالحقيقة التي تولد وتنمو وتشيخ وتعاني من الأزمات كالأزمة الوجودية والاستلاب، فقيل في رحلة الوعي لاكتشاف الهوية أنّه عندما شرع الإنسان ليحدّد هويته باحثاً في كينونته وذاته سقط في دوامات تتكون كل منها من ثنائية ساذجة : ومنها أنّ الإنسان: جسد وروح، عقل وشهوة، مادة ووعي كلّها ثنائيات لا متناهية تقود الإنسان إلى إدراك نفسه ووعي ذاته. (ماكشيللي، 1993، صفحة 8) .

أمّا عن الهوية الثقافية فيقول "الجابري" معبراً عنها:" كيان يصير ويتطور، وليست معطى جاهز ونهائي، وهي تصير وتتطور إمّا في اتجاه الانكماش وإمّا في اتجاه الانتشار، وهي تعتني بتجارب أهلها ومعاناتهم، بانتصاراتهم وتطلعاتهم، وأيضاً باحتكاكها سلباً أو إيجاباً مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما". (الجابري م.، 1993، صفحة 22)

وفي هذا النطاق يشير إلى مفاهيم شتى كحوار الحضارات وضمور الهوية الثقافية وتركيبة الهوية الثقافية التي تولي أشد الاهتمام إلى الإحساس المشترك لأهل الرقعة الأرضية الواحدة التي تتقاسم الماضي والحاضر والمستقبل.

كما جاء في كتاب الهوية لـ"أليكس ميكشيللي:" إذا كانت الهوية حقيقة تنمو وتتكامل وتنضج، إذا كانت حقيقة وجودية تنطوي على عوامل وجودها، وبذور فنائها فإنّها وذلك هو منطق الأشياء، تنطوي على بذور فنائها وانشطاراتها، حيث تتعرض وبفعل عوامل متعدّدة تربوية واجتماعية وثقافية للتشويه والانكسار" (ماكشيللي، 1993، صفحة 8)

ليؤكد على حقيقة عدم ثبات الهوية وإلى خطر تعرّضها إلى مساومات وتجريحات قد تقودها حتى إلى الزوال أو التشويه وأنّ الحفاظ عليها يكمن هو الآخر في عوامل فنائها كالعوامل التربوية والاجتماعية والثقافية.

قدمت "اليونيسكو" إثباتات للهوية الثقافية ابتدأتها بانتماء الفرد إلى جماعات لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية بما لها من قيم أخلاقية وجمالية تميزها مضيفة في تعريفها أنّ ذلك يتضمن الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأسلوب حياتها، وحتى إحساسنا بالخضوع له المشترك فيه أو تشكيل قدر مشترك منه، وتعني الطريقة التي تظهر فيه أنفسنا في ذات كلية، وتعد بالنسبة لكل فرد منّا نوعاً من المعادلة الأساسية التي تقرر الطريقة التي ننتسب بها إلى جماعتنا والعالم بصفة عامة. (المحروقي، 2004، صفحة 164)

فالهوية الثقافية مكون من مكونات الإنسان وما يميزه عن غيره من مأكل ومشرب وملبس وصفات جسمية ونفسية ومن عادات وتقاليد ودين ووطن، وهناك نوع من الهوية يجمع عدة هويات كالوطن والعرق

وهناك نوعين ظاهرين للهوية نوع مادي عليه بصمة الهوية المعنوية يشكل البنايات والعمران والآلات والمنسوجات وغيرها وحتى في موروث الأواني واللباس والمخطوطات والمنتوج السياحي، أمّا المعنوي منه فيظهر في القيم والأفكار والميولات والدين والعرق والموروث الأدبي تصرفات وسلوكات عادات وتقاليد، فنون، آداب، لغة، تاريخ وهناك عدة أنواع من الهوية ملتحمة فيما بينها حتى أنّه لا يمكنك أن تفرق بينها في بعض الأحيان كصفات تجمع بين الهوية الاجتماعية والسياسية يصنعها الحكام بفضل مفكريها والدينية والهوية الاجتماعية والثقافية قد تصنع هويات جديد وقد تطمس بفعل الاستعمار مثلاً وتتعرض للغزو الثقافي.

1.3.الهوية الثقافية الجزائرية:

للهوية علاقة وطيدة بالثقافة والجزائر كمثال لإحدى أهم الدول العربية، من أغنى الدول ثقافياً، نظراً لتعاقب الحضارات على أرضها من رومانية إلى قرطاجية وصولاً إلى العثمانية والعربية الإسلامية والأوروبية وغيرهم فالجينات الجزائرية مشربة بالتنوع العرقي والثقافي إلى النخاع، إلّا أنّ عصرنا الحديث الذي انفتح على العالم بفعل العولمة والتكنولوجيات الحديثة ولا ننسى التأثيرات الخارجية وخاصة بفعل الإستدمار الفرنسي أثارت حفيظة هذا الموضوع الذي يمس بالشخص الجزائري، وما أدى إلى القلق الثقافي حسب جاك بارك Berque jackeواربارت ميمي Albert memmi

ورغم الاتفاق الجامع على أنّ الدّين الإسلامي واللغة العربية أهم مقومات الهوية الثقافية الجزائرية على سبيل المثال، إلاّ أنّ صراع بين تمجيد الأصل الأمازيغي أو العربي يبقى محل شك، فربّما تحركه أيادي خفية لتزعزع الاستقرار الداخلي ولتبعث الشك في قلوب الناس حتى تمس الوحدة الوطنية والهوية الثقافية، ولعلّ أهمية اللغة – ركزة الاتصال الهوياتي– جعلت المستعمر في شتى بقاع الأرض يوهم المستعمّر أنّه لابدّ عليه أن ينطق بلسانه حتى يتسنى له أن يطمس باقي الهوية على مهل وبعمق حتى أنّ الاستعمار الفرنسي في الجزائر أبقى على المعاملات الرسمية والإدارية وفي المدارس والمحافل الدولية، يقول ابن باديس:" إنّ مشكلة العروبة في الجزائر أساسها وسببها الاستعمار الفرنسي منذ أن احتّل الجزائر عمل على محو اللغة العربية لأنّها لسان الإسلام" (الابراهيمي، 1955، صفحة 204).

فأهم أسباب طمس الهوية الثقافية للمجتمعات هو الاستعمار والأمر لا يقتصر على الجزائر فقط بل في شتى أنحاء المعمورة، والاستعمار الحديث الذي جاء على شكل تكنولوجيات حديثة ومواد إعلامية تنطق بلغتهم ومترجمة إليها في الظاهر، لكن تحثّهم على تقليد لغتهم وثقافتهم وتنئ بالفكر إلى أهداف وتصورات وصور ذهنية وتلميحات نتجت عن دراسات سيميولوجيا أو إلى كلمة حق أريد بها باطل كلّها في شكل أدوات ذكية مبهرجة ومنمقة تسعى إلى توجيه الرأي العام العالمي وإلى القضاء على الحواجز والخصوصيات الثقافية.

يقول مالك بن نبي:"إنّ الأفكار لا تتمتع في المجتمع الإنســـاني بقيمة ذاتية، تجعلنا ننظر إليها بصـــفتها أسمى المقومات الاجتماعية، وقوة أساسية تنظم وتوجه قوى التاريخ كلها، وتعصمها بذلك من محاولات الإحباط مهما كان نوعها." (بن نبي، 2016، صفحة 8)

أهم المنظرين الجزائريين الذين اهتموا بموضوع الهوية نجد : عبد المجيد شرفي، عبد الله شريط ،مولود قاسم نايت بلقاسم، أحمد بن نعمان، عثمان سعدي.

فمولود قاسم نايت بلقاسم على سبيل المثال من أهم المفكرين الجزائرين الذين أولو اهتماماً بالغاً لموضوع الهوية متعرضا إليها في مقالات وكتب وملتقيات داخل الجزائر وخارجها، استبدال مصطلح الهوية إلى الإنية مقترضاً المعنى من ابن سينا قائلاً:" أقصد بالإنية ذلك الوعي الحاد بالذاتية والشخصية وهي تلك الإنية التي يتكلم عنها ابن سينا والتي تتلخص في أنّه كان قد تصور نفسه معلقاً بين السماء والأرض وأنّ جسمه قد انتزع منه وفي حكم العدم، ولم يبق له في تلك اللحظة وهو بين العالمين إلّا ذلك الوعي الحاد بوجوده، وشـــعوره بذاته المتميزة بذاتها المســـتقلة عن غيرها وهذا التصور لإبن سينا هو الذي كان الأصل في ذلك الكوجيتو الديكارتي المعروف الذي يقول:" أنا أفكر إذا أنا موجود" (بلقاسم و قاسم، 1971، الصفحات 9-10)

ورجح على أنّ للهوية عناصر ثلاث هي الدين واللغة والتاريخ الذي يتخلله حب الوطن متأثر بفكر الفيلسوف الالماني غوتليب ، معتنقاً قواعد ثلاث تساهم في ترميم الشخصية الجزائرية التي طالما حاول الاستعمار الفرنسي طمسها في وقت حاول عدة مفكرين وعلماء جزائريين الحفاظ عليها مثل" البشـــير الابراهيمي" و"الفضـــيل الورتيلاني" و"عبد الحميد بن باديس" الذي كان شعاره الذي حفظه كل الجزائريين عن ظهر قلب : الإسلام ديني، العربية لغتي، والجزائر وطني. كما أنّ المساجد والزوايا كانت مرجعاً روحياً لتجديد العهد كل يوم للحفاظ على الهوية الثقافية الجزائرية بعيداً عن الخزعبلات والخرافات التي حاول الاستعمار لصقها بالعقلية الجزائرية .

حاولت الحركة الثورية الحفاظ عليها حتى في مؤتمراتها الرسمية وفي محافلها الدولية مثل: بيان أول نوفمبر، مؤتمر الصومام1956، ومؤتمر طرابلس 1962، إلّا أنّ الاحتلال الفرنسي دس بعضاً من سمومه في أواصل لحمة الهوية الثقافية الجزائرية عن طريق نشر برامج خبيثة تعمل على المدى البعيد إلى وقتنا ووقت أبناءنا في إيديولوجيات سياسية خطيرة، فجعلت من بعض الجزائريين أفواها لها يتكلمون عن لسانها يسعون لإضفاء البعد الفرنكوفوني على هويتنا، وخلق أسباب واهية لتناطحات قبلية وعرقية واثنية ولغوية وغيرها .

يقول "مالك بن نبي" في هذا الشأن:"إنّنا ذكرنا أنّ الاستعمار مخرج لا يرى أين يقع الضوء على المسرح حينما يدور فيه فصل من فصول الصراع الفكري، وإذن سوف يكون مفيد إن وجه بعض الضوء على من يقوم بدور فيه، حتى لو كان ضوء شمعة جيب، محاولاً بذلك تجلية مهمة الصراع الفكري في وقت مناسب، أعني في الوقت الذي يجد العالم فيه نفسه مضطرا لخوض معركة الأفكار" (بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، 2016، صفحة 20)

وبحكم المعارك الفكرية والهروب من الواقع بدا في الآونة الأخيرة، أنّ الفرد العربي والجزائري يسعى دائماً إلى التقليد وهو دائم التردّد وعلى العموم لا يملك أفكار أو لا يتقيد بها بالأحرى، وربما يمتلك شخصيتين، الشخصية المحافظة على التقاليد والدين والهوية الثقافية عموماً وهي شخصية منتقدة وتسعى إلى الكمالية وإلى احتضان الهوية العربية المسلمة على أكمل وجه، والشخصية الثانية التي تتمنى الذوبان في ثقافة الغرب وتسعى إلى التقليد وإلى التقمص حتى بين الشخص ونفسه أو بين محيطه الضيق حتى لا يتعرض للانتقاد .

إلاّ أنّنا أصبحنا نرى الشخصية الثانية أصبحت لا تخجل من بروزها وإظهار آراءها، حتى أنّ المظهر الخارجي للأشخاص كالهندام وطريقة التحدث والألفاظ الغريبة عنا من ألفاظ نابية غربية وعبارات لا توحي عن انتماءاتنا ولم يتخذ في ترجمتها عملية التوطين للأفكار.

ويصف "حرب" في وصف بليغ للأزمة الهوياتية الثقافية التي نعيشها المنغمسة في شكلها السمعي البصري الموجه والمترجم قائلا:" إنّنا نعيش خصوصيتنا حتى البداوة، وننغمس في عالميتنا حتى الثمالة، أنّنا نستخدم الأدوات، لكننا نرفض أحدث الأفكار والمناهج، ونتشبث بالأصول حتى العظم على صعيد الخطاب والكلام، ولكننا نرفض ثمرات العقل الفلسفي، ونعتبر أنّ العلمانية والديمقراطية والليبرالية أفكار مستوردة وممارسة نحن العرب والمسلمون في ما يتصل بالمقدسات والمحرمات؟ ولأنّنا غريبون فيما يتعلق باستيراد الأدوات والسلع والصور والمتع التي توفرها أجهزة الفيديو والأفلام، أي في كل ما يتصل بمادة حياة وأسلوب حضارة" (زيود، 2006، صفحة 101)

والتي صارت أيضاً رهن المشاكل والنزاعات والنكد، تسعى بذلك إلى الترويج والتطور في تخبّطات غير مدروسة.

2.3. العولمة الثقافية أو الانفتاح على العالم:

العولمة الثقافية مصطلح فضفاض مثلها مثل الانفتاح على العالم وقد انحدرت عدة مصطلحات مشابهة كالحداثة والحداثية، والديمقراطية والخصخصة والنظام العالمي الجديد وغيرها في إطارات متنوعة لكنّها غير قابلة للقياس ولا للحصر.

وقد أشار "رابح كباش" في دراسة له أنّ العولمة لا تتوقف عند حدودها الاقتصادية، بل تتعدّى ذلك إلى سعيها لترويج ونشر قيم سياسية واجتماعية وثقافية تعمل على خلق ضغوط تسعى من وراءها إلى إبراز قواعد ملزمة أخلاقياً في ميدان الثقافة المدنية معتمداً بذلك على شعارات الديمقراطية حقوق الإنسان. (كباش، 2010، صفحة 82)

– **العولمة والعالمية أو الانفتاح على العالم:** كلا المصطلحين يدلان على التّوسع والدمج والتشارك بغض النظر عن فكرة الحدود الجغرافية وعن التّنوعات الثقافية والاجتماعية .

إلاّ أنّ كلا المصطلحين يدلان على سيطرة الغرب وفرض النفوذ باسم منظمات عالمية وشعارات إيديولوجية .

ويضيف " الجابري" محدّداً لمفهوم العولمة إلى هذا التعريف " أمّا العولمة فهي إرادة للهيمنة وبالتالي فهي محاولة لقمع الخصوصيات القومية إنّها محاولة لاختراق الآخر وسلبه خصوصيته". (الجابري م.، 1998، صفحة 17) .

وقد تمّ تداول مصطلح الأمركة كمعنى آخر للعولمة ليقصد به" سيطرة الرأسمالية الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية على شؤون العالم " وعلى قمة المجالات التي تمّ تداولها في هذا النطاق "الثقافة حيث يتم تثبيت ونشر القيم الثقافية الأمريكية من خلال هيمنة شركات الإعلام الغربية وخصوصاً الأمريكية على التسويق العالمي القائم على إظهار النموذج الأمريكي، بأنّه النموذج المتطور الذي يجب على بلدان العالم إتباعه بمختلف الوسائل الممكنة".. (خضور و ابراهيم، 1998، صفحة 11)

فيما نوّه الرئيس الأمريكي بعد حرب الخليج الثانية أنّ القرن القادم سوف يشهد انتشار القيم وأنماط العيش والسلوك الأمريكي .

وهناك من رجّح أنّ الاختراق الثقافي ما هو إلاّ خطوة نحو العولمة لا إلى الانفتاح مفسراً أنّه: " حركة انتقال الأفكار والعقائد والقيم والعادات الغريبة بشكل مكثّف وغير مسيطر على المجتمعات الأخرى والاختراق الثقافي كسياسة وإستراتيجية تنتهجها بعض الدول هو التّدخل في شؤون الغير بقصد التأثير في ثقافتهم وسلوكهم ومعتقداتهم، مدخلاً كلّياً أو جزئياً بمختلف الوسائل"، مضيفاً أنّ " الاختراق الثقافي من حيث أساليبه وأدواته فهو مجموعة الأنشطة الثقافية والإعلامية والفكرية التي توجهها جهة أو عدة جهات نحو مجتمعات وشعوب معينة، بهدف تكوين أنساق من الاتجاهات السلوكية والقيمية أو أنماط وأساليب من التفكير والرؤية والميل لدى تلك المجتمعات والشعوب، بما يخدم مصالح وأهداف الجهة أو الجهات التي تمارس عملية الاختراق". (ندى، 1996، الصفحات 14-15) .

هذا ما يبين لنا مدى خطورة الاختراق كونه لطيف صامت إمّا مترجم أو بنسخة عربية في شكل نشاطات ثقافية وإعلامية، نراه اليوم في شكل برامج مطابقة للبرامج الغربية مثل برنامج "ذو فويس" و"آراب أيدل" وبرامج للتّطرق لحياة وخصوصيات المشاهير وغيرها من المضامين التي لا تمت لهويتنا الثقافية بصلة يحس المتلقي بالعظمة والحماس لبهرجة الاستيديوهات والفيديوهات التي يتعرض إليها حتى يتم التغيير في الفكر والميول العربي تدريجيا في قالب تثقيفي أو فكاهي أو ترفيهي عادة ما يكون مترجم.

وحالات عدم الاستقرار الثقافي في عالمنا العربي عموماً ما هو إلّا نتاج التناقض النفسي في الشخصية العربية التائهة كما ذكرنا سابقا، والازدواجية في مظاهر الحياة الشخصية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وبالتالي فالناشئ في هذا الجو السلبي المتناقض يمتصها ليواجه صراعات قيمية وأزمة هوية ثقافية تودي به إلى متاهات فكرية، ويؤكد على هذه الفكرة "الجابري" مبيناً أنّ التيه بين ما هو عصري وتقليدي في ثنائية خطيرة أصبحت جزءاً من الواقع الثقافي العربي في صراع بين دعاة الانفتاح على الغرب والعالم ودعاة الرجوع إلى الذات والتراث .

يقول أليكس ماكيلي Alex Mucchili: "هناك أنا اجتماعية أولية مشتركة بين جميع الأفراد الذين ينتمون إلى جماعة واحدة متماسكة" (Mucchiell, 1986, p. 87)

وتقول في سياق مختلف "راضية الشرعبي":" أنّ العولمة في شكلها الثقافي تهدف إلى إزالة الحدود الدينية والعادات والتقاليد، حتى تكون العقول المستقبلة للمادة الثقافية أكثر انفتاحا وتقبلاً لما يأتي من الخارج، دون تفكير أو

إعادة نظر بعد أن حطمت كل أبواب المراقبة والنقد، يقوم النظام العالمي الجديد في مشـــروعه المعولم لكل شـــيء على اختراق الثقافات الوطنية والثوابت الذاتية، ويعمل على طمس معالم الذات والأصل والشرع، بطرح بدائل هجينة منمقة ومزوقة، بحيث تجلب الأنظار ومن ثمة القلوب والعقول". (الشرعبي، 2006، صفحة 47)

وقد تطرق البعض إلى تعريف الثقافة العالمية في معناها الأوسع والوعائي بوصفها على أنّها:" الثقافة التي تكون في عمقها إنسانية الطابع والأبعاد وتأخذ في اعتبارها أنّ ثمة تعداد وتبايناً في الثقافات ونسبية في المفاهيم، ومن ثمّ فهي تسعى إلى مد جسور التواصل والتفاهم مع الثقافات الأخرى، ولا تسعى إلى أن تكون نقيضاً لها أو إلى إلغائها". (خريسان، 2001، صفحة 44)

والثقافة العالمية هي الباب الأوســـع إلى الانفتاح العالمي فهو نطاق إيجابي واللغة والترجمة إحدى أهم جوانبها و"العالمية تشير إلى الطموح إلى الارتقاء بالخصوصية إلى المستوى العالمي أو بعبارة أخرى هي انفتاح المحلي على ما هو عالمي وكوني، وبالتالي فإنّ نشدان العالمية هو طموح مشروع يعكس الرغبة في الانفتاح على الآخر بهدف تبادل الأخذ والعطاء، وبهدف الحوار والتعارف والتلاقح بين الحضـــارات والثقافات، وهكذا يمكن النظر إلى العالمية باعتبارها إثراء للهوية الذاتية" . (الجابري م.، 1998، صفحة 17)

ويرى "شريط عبد الله الجزائري" الفطن الرصين متأثراً بـــ"براتراند راسل" في كتابه "من أجل سعادة الإنسان" "أنّه بالرغم من ضرورة الحفاظ على الهوية والذات والخصوصية، إلاّ أنّه وجب المشاركة مع الآخر في إطار الكونية شرط المساهمة فيها، وإن كان الآخر مختلفاً لدرجة اعتباره عدوا لأنّ الهدف النهائي هو تحقيق راحة الإنسان وسعادته، وهذه السعادة لا تتحقق إلاّ بالمشاركة والتبادل". (شريط، 2009، صفحة 121)

كما يقول مؤكداً لموقفه :" إنّنا لا ندعو إلى التزمت والانزواء في أدبنا بل نؤاخذ أجدادنا عليه، وإنّما ندعو إلى إقامة توازن بين "الشخصية" و"العالمية" وإلى المشاركة لا "التقليد " وإلى أن يكون لنا رصيد خاص نساهم به في الثورة الأدبية والفكرية العالمية ولا نبقى إلى الأبد نقتات من "البنك العالمي " لآداب الأمم الأخرى دون أن نساهم فيه برصيد خاص " (شريط، 2009، الصفحات 45-46)

4.خاتمة

الترجمة عموماً والترجمة السمعية البصرية على سبيل الحصر من أهم المجالات التي لابدّ من مراعاتها وتطويرها في عالمنا العربي وذلك بالمشاركة في صناعة الثقافة ونشرها وصناعة المنتوج السمعي البصري وترجمته للغات العالم، وهو الحل الأمثل لتقدير الذات ونشر الأفكار والتخلص من عقدة التبعية والخنوع، وللتخلص من الشخصية العربية المزدوجة الميولات، وحتى يتسنى لها أن تحظى بهوية ثقافية رصينة واضحة المعالم متفتحة على العالم. فالانبهار بالحضارات والمواد السمعية البصرية التي تمثلها وتصل إليه عن طريق ترجمتها هي أولى اللبنات التي تغطي جوهر الشخصية الحاملة للهوية الثقافية، لكن عند صناعة الثقافة والوعي والنهوض بالترجمة من اللغة العربية وإليها يتشكل الشعور بالذات وتقديرها ويرقى الفكر إلى التفتح على العالم.

كما وضعنا جملة من التوصيات التي قد تساعد على تلميع صورة الهوية الثقافية وتساعد على التفتح كخطوة أولى. وقد تعطي دفعة للتغيير أو للتنويه لمدى أهمية الموضوع على الأقل:

التوصيات:

- لابدّ من تخفيف وطئة الضغط الاجتماعي الذي يعيشه الفرد العربي عموماً والجزائري خصوصاً، خاصة مع احتدام الصراع الاجتماعي الذي تعيشه البشرية بسبب انتشار فيروس كوفيد 19 وتسريح العمال ونقص الإمكانيات والبطالة ما يخلق شذوة لاشتعال نيران التّقمص والهروب من الواقع.

- يجب إعادة النظر في التعليم الذي من الملاحظ أنّه نأى عن مساره الديني الذي تشبعنا به في صغرنا، وأصبح أكثر مواكبة للعصر فالجيل القادم يفتقد إلى القيم الإنسانية البسيطة الفطرية وتحول إلى آلة إلكترونية تلتقط ما ينتجه القاصي والداني من أفكار .

- نعتقد أنّ تعلم اللغات الأجنبية خاصة اللغة الإنجليزية من أهم الخطوات التي لابد من الإشارة إليها. وتعلم الترجمة خطوة فعالة لإدراج التغيير الحسن للمضمون السمعي البصري مستقبلا.

(فعالمية اللغة وانتشارها بشكل طاغي جعل من المستحيل تحليل المضمون دون علم باللغة، إلى جانب التّمكن من اللغة الأم طبعا. فالتّعلق الدائم بالترجمات التحتية وبالدبلجة ليس الحل الأمثل، ويجب أن يكون الإنسان كيساً فطناً).

- تلعب الأسرة دوراً فاعلاً في توجيه وترشيد السلوك الإنساني، خاصة لفئة الأطفال والمراهقين والشباب، لذا فالتماسك الأسري والنصائح التي تسدى لهذه الطبقة الهشّة هو الترياق الأمثل للنهوض بالفكر الهوياتي الثقافي والحفاظ عليه.

– يبدو أنّ الأجهزة الإلكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي صارت جزءاً لا يتجزأ من البنية العضوية للفرد فهي بمقام الرجل والعين، لذا فحسن الاستخدام ومعرفة خبايا الأجهزة والتطبيقات والمواقع ومحاولة إضفاء نظرة إيجابية عن الأمة العربية وعن الإنسان العربي أضحى ضرورة ملحة.

المراجع

Diaz-Cintaz, J. (s.d.). The ever changing world of Subtitling some major development. London: Roehampton universit.

Gambier, Y. (2004, avril). la traduction audio visuelle : un genre en expansion.

gambier, y. &. (2010). The routledge Handbook of translation studies. Amsterdam: philadelphia: hn Benjamins publishing company.

Mucchiell, A. (1986). L'edentité. paris: puf 4eme edition.

البشير الابراهيمي. (1955). مشكلة العروبة في الجزائر، محاضرة الشيخ البشير الابراهيمي ندوة الأصفيا. مصر: دار مصر للطباعة.

أليكس ماكشيللي. (1993). الهوية ، ترجمة علي وطفة. 01 . 01 . دمشق سوريا: دار الوسيم للخدمات الطباعية.

أيمن منصور ندى. (1996). الاختراق الثقافي عن طريق البث الوافد، دراسة مسحية لأدبيات الاختراق، اعمال ندوة : الاختراق الاعلامي للوطن العربي، تحرير ســـعد لبيب. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربي.

باسم علي خريسان. (2001). العولمة والتحدي الثقافي. بيروت : دار الفكر العربي.

حمدي حســن عبد الحميد المحروقي. (7 أكتوبر، 2004). دور التربية في مواجهة تداعيات العولمة على الهوية الثقافية. 07. القاهرة: مجلة دراسات في التعليم الجامعي،مركز تطرير التعليم الجامعي جامعة عين شمس.

رابح كباش. (2010). تأثير العولمة في القيم الهوية الثقافية. الجزائر: مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة.

راضية الشرعبي. (24 02، 2006). الإعلام العربي وتحديات العولمة الثقافية. مركز العهد الثقافي.

رسلان خضور، و سمير ابراهيم. (1998). مستقبل العولمة. دمشق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية.

عبد الله شريط. (2009). الاعمال الكاملة-من اجل سعادة الانسان. منشورات السهل.

علي محمد الشريف الجرجاني. (1990). كتاب التعريفات. بيروت : مكتبة لبنان.

ماجد زيود. (2006). الشباب والقيم في عالم متغير. 01 . الاردن: دار الشروق.

مالك بن نبي. (2016). الصراع الفكري في البلاد المستعمرة. 12. دمشق سوريا: آفاق معرفة متجددة.

مالك بن نبي. (2016). الصراع الفكري في البلاد المستعمرة. 02 . دمشق: دار الفكر.

محمد الجابري. (03 فيفري، 1998). العولمة والهوية الثقافية. مجلة المستقبل العربي.

محمد عابد الجابري. (1993). نحن والتراث. بيروت: المركز الثقافي العربي.

نايت بلقاسم، و مولود قاسم. (1971). إنية وأصالة. 1 . مجلة الأصالة.